المواجهة مع حزب الله اثبتت ان الانشغال الزائد بالجبهة الفلسطينية جاء على حساب تجاهل التهديد الايراني

■ اسرائيل توجد في تناقض غريب من ناحية استراتيجية. فمن جهة، تشدد، على أنه لاول مرة منذ حرب الاستقلال ينشأ حيالها تهديد وجودي: تهديد ايران، التي تطور سلاحا نوويا ويسودها نظام ديني متطرف ويدعو رئيسها الى تصفية اسرائيل.

ومن جهة اخرى، تواصل اسرائيل النظر الى ان الجبهة الاساس لها هي الجبهة حيال الفلسطينيين. هذا التناقض يتعارض مع كل منطق.

مطلوب انقلاب استراتيجي: يجب القول ان الجبهة الاساسية، الاولى، هي جبهة منع التهديد الوجودي. ومن هنا، فان على الجبهة الفلسطينية بكل ما يرتبط بها ان تكون الجبهة الثانية. المواجهة العسكرية الاخيرة في لبنان دلت على ان الانشغال الزائد في الجبهة الفلسطينية أدى الى اهمال التهديد من جانب حزب الله.

للانقلاب الاستراتيجي المطلوب معانٍ عديدة. مطلوب تذكير استراتيجي آخر، تخطيط مفصل ومخططات عملياتية مختلفة وتحديد أولويات عسكرية بما يتناسب مع ذلك. ثمة حاجة الى تشديدات خاصة في مجال البحث والتطوير وتوزيع آخر لمخصصات الميزانية. ينبغي التركيز قبل كل شيء على ايران وافعالها في المنطقة، خارج حدودها. ومن هنا فان «تحديد الانباء الهامة» للاستخبارات يجب أن يحظى بتشديد ملائم.

الموضوع الاساسي هو تطوير القدرة النووية الايرانية. فقد بنت ايران حزب الله وهي تدعم الفلسطينيين وتقيم خلايا لحراس الثورة في اوروبا وغيرها من الاماكن. وهي تعمل في الاردن وفي مصر وتسعى الى وضع استراتيجي مغاير في الخليج. وتسعى ايران الى أن تصبح قوة عظمى اقليمية، وهي ترى اسرائيل عقبة كأداء ينبغي ازالتها. لايران مشاكل مع الولايات المتحدة، مع تركيا ومصر وبعض الدول الاوروبية؛ ومع ذلك فان واشنطن تجس النبض للحوار معها. ايران مستعدة لذلك، ولكن بدون شروط مسبقة. على اسرائيل أن توضح لواشنطن ما هي «خطوطها الحمراء» في كل ما يتعلق بطهران.

للانعطافة الاستراتيجية جوانب عسكرية وسياسية، في الجبهة الاساس وفي الجبهة الفلسطينية. ومن المعقول الافتراض بان ايران لم ترغب في اندلاع الحرب في لبنان قبل الاوان ولكن في اثنائها اضرت هي وسورية باسرائيل. هناك امور لا يمكن لاسرائيل ان تمر عليها مرور الكرام، حتى وان كانت مستعدة للتوصل الى تفاهمات وتسويات. وبالتأكيد هكذا عندما يتحدث الرئيس الايراني عن ابادتها. في هذا الشأن ينبغي الاشارة لطهران ولدمشق ـ دون صلة باحباط البرنامج النووي الايراني.

المصلحة الاستراتيجية لاسرائيل هي اخراج سورية من المحور الايراني. ولا يوجد اي سبيل أفضل لخلق حاجز بين اسرائيل وايران من السلام مع سورية. ينبغي التطلع الى ذلك، ولكن لا ينبغي الظهور بمظهر المستجدي فيما تواصل دمشق تهريب الصواريخ لحزب الله لغرض ضرب اسرائيل. أما لبنان فيمكن للدول العربية أن تنقذه بينما تريد ايران توريطه. هدف اسرائيل هو ردع حزب الله؛ عليها أن توضح على الملأ والآن، بان هجوما آخر عليها سيؤدي الى رد فعل شامل شديد على لبنان وبناه التحتية.

الجبهة الثانية، الفلسطينية تضم الاردن ايضا، والذي لاسرائيل مصلحة استراتيجية في وجوده بنظامه الحالي. من ناحية سياسية، ينبغي السعي الى الحوار مع القيادة الفلسطينية – شريطة أن يتوقف العنف ويكون اعتراف بالاتفاقات الموقعة في الماضي. والا، فما الجدوى من السعي الى اتفاق آخر؟ الحوار الحقيقي وحده مع الفلسطينيين يمكنه أن يعطي شرعية لانهاء النزاع.

من ناحية عسكرية، محظور اعطاء تخفيضات للفلسطينيين في كل ما يتعلق بنار صواريخ القسام. في هذا الشأن على اسرائيل أن تكون متصلبة باضعاف بعد الحرب في لبنان. معسكر اليسار في اسرائيل ادعى دوما بان اسرائيل يمكنها أن تأخذ على نفسها مخاطر أمنية واقليمية حيال الفلسطينيين. وهذا لا يمكن عمله عندما يكون الجيش الاسرائيلي ضعيفا او غير ناجع؛ الحرب في لبنان كشفت نقاط الضعف في الجيش الاسرائيلي. وفي كل مفهوم استراتيجي ينبغي للجيش الاسرائيلي أن يكون قويا واسرائيل ملزمة لان تجد اجوبة مقنعة على تهديد الصواريخ والمقذوفات الصاروخية – والا فسيبتعد السلام عن ابوابنا ويزداد التهديد في الجبهة الايرانية.

بقلم: زئيف شيف
خبير أمني واستراتيجي
(هآرتس) - 2006/9/1

اولمرت .. انت المتغطرس وليس زعيم حزب الله

حسن نصر الله لم ولن يخرج وجيشه من جنوب لبنان

■ رئيس الحكومة جلس في يوم الثلاثاء محاطا بثلة من اعضاء مجلس بلدية طبرية. لم يعد في البلاد احترام لرؤساء الوزراء، أما التزلف والنفاق فحدّث ولا حرج. «الحرب انتهت بصورة أفضل بكثير مما يراه السوداويون عندنا»، قال اولمرت وابتسم. «ليس من الممكن عدم ملاحظة حقيقة أن هذا القائد المتعجرف، حسن نصر الله، قد وقف أمام العالم كله وقال: لو أنني كنت أعرف بنسبة واحدة ماذا كان سيحدث لما بدأت. هذا ليس نداء الانتصار بالتأكيد».

«الآن يدرك نصر الله ماذا يحدث له. أنا أتجول في كريات شمونة وصفد على رؤوس الأشهاد، أما هو فلا يخرج من مكمنه طوال اسبوعين بعد الحرب. من بقي في المخبأ يعرف أنه لم ينتصر. هو يعرف أنه لم يتبق شيء غير المخبأ. هم ايضا بحاجة لتصريح منا من اجل هبوط الطائرات في بيروت. ليس في مطار بن غوريون، فأنا لا أتدخل هناك، وانما في بيروت!».

قلت لنفسي عندما سمعت هذه الكلمات في التلفاز: أنت المتغطرس، وليس غيرك. هذه الدولة غرقت في جنون حاجز طوال خمسة اسابيع، والشمال هاجر الى الجنوب أو الى الملاجيء، والجيش صب كل ترسانته من القذائف على لبنان، مواطنون سقطوا وجنود قُتلوا، ورئيس وزرائي يُدندن أغنية: «أو – آه ما كراه، نصر الله أخال أوتاه» (أي، أو – آه، ماذا حدث، نصر الله أكلها). بماذا يختلف اولمرت عن أقل المشجعين مرتبة في ملعب كرة القدم. لاول مرة في تاريخ الدولة – قال لي صديق ذو حس تاريخي مرهف في ذلك المساء – رئيس الحكومة يقوم باجمال عملية عسكرية وفقا لوجهة نظر الطرف الآخر، وليس بناء على انجازاته الحقيقية على الارض.

هذا الصديق لم يكن دقيقا في قوله، فاسرائيل شهدت خلال مسيرتها قدرا غير قليل من خطابات الانتصار المتغطرسة وقصيرة الرؤية، الفارغة. سياسيو هذه الدولة متعطشون للنصر لدرجة أنهم يعلنون عنه حتى عندما لا يكون قائما.

لماذا يحدث ذلك لاولمرت؟ سألت. هل يعود ذلك الى شعوره بالنشوة نتيجة احساسه بأنه قد نجا من لجنة التحقيق الرسمية؟ حتى تلك اللحظة اعتقدت أن لجنة التحقيق الرسمية بكل ما يترافق معها من ثرثرة قانونية، هي مصيبة. هي ستشل الدولة لسنوات، ولكن اتضح لي أنني قد اخطأت. هذه اللجنة ضرورية، ولو فقط من اجل تذكير رئيس الوزراء أن الوقت لم يحن بعد لتوزيع الأوسمة.

اولا، لدى اولمرت طابور من الاعلاميين الذين يدافعون عنه ويغطون زياراته الهادفة الى الشمال. اولمرت يعرف في كل الاحوال أنه قد اخطأ – أراد أن يشجع السياسيين من الشمال وأن يُفرحهم، فحصل له ما حصل. أنا لست متغطرسا، قال عن نفسه.

انتهاء الحرب أعفانا في سياق ما أعفانا من الحاجة الى الاصغاء لخطابات حسن نصر الله السامة. هذا مكسب لا يُستهان به. وبالرغم من ذلك، أنا أقترح على القارىء أن يفكر بوجبة اخرى من المعاناة وأن يراجع مقاطع من المقابلة المطولة التي أجرتها مريم البسام من (NTV مع نصر الله، تلك المقابلة التي لم يُبث فيها إلا مقطع واحد في اسرائيل، حظيت عندنا باسم «خطاب الندم».

الحقيقة هي أن نصر الله ليس نادما تماما. هو يفعل ما يفعله الآن وزراء حكومة اسرائيل وقادة جيشها. اعداد خطابه للجنة التحقيق في الحرب. في شهادته يمكنك أن تجد معلومات مثيرة وبعض الأكاذيب وأنصاف الحقائق. يتضح أن من الأسهل أن تأمر بشن الحرب على أن تبررها بأثر رجعي. الجانبان يكتشفان هذه الحقيقة الآن.

نصر الله في هذه المرة لا يتحدث الى الاسرائيليين، فقد انتهى منهم. كل مساعيه الآن مُركزة على اقناع الجمهور اللبناني ـ من مسيحيين وسنّة وشيعة. ففي هذه الساحة سيحسم أمر بقائه.

السخافة هي أن القيادة الاسرائيلية ونصر الله يُرسخان شروحاتها على نفس القاعدة: لولا شن الحرب الآن لكانت قد جرت في موعد لاحق في ظروف أقل جودة. اولمرت قال ذلك في هذا الاسبوع أمام رؤساء بلديات الشمال، ونصر الله قال نفس الشيء في مقابلته الأخيرة.

في تلك المقابلة سألت الصحافية حسن نصر الله: لقد سمعنا شهادات مفادها أن عناصر حزب الله كانوا قادرين على أسر جنود اسرائيليين إبان المعارك، ولكنهم خافوا من التورط.

«هذه الأمور تُركت لتقدير المقاتلين في الميدان»، قال نصر الله، «نحن في القيادة المركزية لا نستطيع توجيه أوامر قاطعة. فنحن نثق بمقاتلينا، أنا أقول لك بصورة قاطعة: لم نطالب المقاتلين في عيتا الشعب أو في غيرها من القرى بأن يبقوا في قراهم طوال 34 يوما. قلنا لهم عندما ستشعرون أنكم في ضائقة فلا مانع من انتقالكم الى نقطة اخرى. نحن لسنا جيشا، ولا نتشبث بالارض. اذا سقطت قرية أو اثنتان أو مدينة أو تلة أو مسار أو خط جبهة، فلا مشكلة لدينا».

حسن نصر الله رد على الصحافية عندما سألته اذا كان الجيش سينزع سلاح حزب الله قائلا إن هذه ليست مهمته، «ومن ناحيتنا سنلتزم بالاتفاق ولن نُخرج الجيش»، في السابق اعتقدنا أن الصحافة الاسرائيلية صادقة فيما تنشره، مثلا بالنسبة لعدد القتلى في الجانب الاسرائيلي. في هذه الحرب اكتشفت أن الاسرائيليين كذابون من الدرجة الاولى. بيرتس، اولمرت ولفني وكل القادة الاسرائيليين قالوا وما زالوا: لن نسمح بعودة حزب الله الى الجنوب. ولكن متى خرج حزب الله من الجنوب، وهل هو بحاجة الى تصريح حتى يعود؟ نحن لم نخرج ولن نخرج».

ناحوم برنياع
محلل رئيس في الصحيفة
(يديعوت احرونوت) - 2006/9/1

غزة في امطار الصيف.. قتلى بدون صور... حمار مطروح ميتا على الرمال.. وشوارع نتنة

ما زال الجرحى يتدفقون على مستشفى الشفاء
50 فتى من 212 قتيلا منذ اختطاف جلعاد شاليط

■ مستشفى الشفاء في غزة، الطبقة الرابعة: أخوان ناجيان. قتل والداهما وسبعة من اخوتهما في نومهم. نجا الاخوان فقط من التفجير. اسقط صاروخان من طائرة على البيت، في الهزيع الاخير من الليل. عواد ابن الـ 19 مجروح جرحا شديدا؛ ومحمد، ابن الـ 20، لم يجرح، وهو يمرض أخاه في سريره. قتل والداهما وجميع اخوتهما واخواتهما الصغار، وفيهم طفلة معوقة. تخيلوا الأمر.

تلحظ علامات الصدمة والثكل على الاخوين اليتيمين. انظارهما موجهة الى الارض وكلامهما واهن، ووجهاهما شاحبان بلا حياة، بعد ستة أسابيع أيضا من الليلة الدامية. على جدار الغرفة في المشفى علقا صورة أبيهما، وقد صور مع رئيس الحكومة، اسماعيل هنية، ويشبهه جدا في مظهره الخارجي. الدكتور نبيل ابو سلمية كان محاضرا في الرياضيات في الجامعة الاسلامية في غزة ونشيطا في حماس. جاء المطلوب محمد ضيف ليزور العائلة تحت جنح الليل، وأسقط سلاح الجو صاروخين على البيت، اصيب ضيف ونجا، وابيدت عائلة كاملة تقريبا. كان هذا في اليوم الذي نشبت فيه الحرب في لبنان ولم ينتبه أحد الى القتل في الجنوب.

ما زال الجرحى والقتلى يتدفقون على مشفى الشفاء. تطرح سيارة اسعاف بعد سيارة اسعاف ضحايا عملية الجيش الاسرائيلي هذا الاسبوع، هذه المرة في حي الشجاعية، وبعقبهم أتى ابناء العائلة المهتاجون. كان الجو شديدا ومهددا. يحرس عشرات من جنود حماس المسلحين المكان بملابسهم الزرقاء المنمرة، وبنادق الكلاشينكوف المعدة فوق الاسطح حول ذلك، في ساحة المشفى وأروقته. يستلقي الاقارب على بلاط الغرف ويهدد المشفى الوحيد في غزة بالانفجار لاكتظاظه.

يثور من شوارع المدينة نتن شديد، لم تجمع القمامة منذ ايام كثيرة بعقب اضراب عمال البلدية الذين لم يحصلوا على رواتبهم منذ شهور، وتدخل الرائحة غرف المرضى. الكهرباء موجودة لبضع ساعات في اليوم فقط، بسبب قصف سلاح الجو لمحطة توليد الطاقة الوحيدة في القطاع، والحرارة خانقة هي ايضا. المصعد عالق او يزحف بصعوبة. عواد ابو سلمية يستلقي وهو أشل وقد ضمدت رجلاه، في السرير بقرب النافذة. الريح التي تهب من قبل البحر فقط تخفف شيئا ما. غير بعيد من هناك، في بيت لاهيا يجلس أحمد العطار، وهو فتى في الـ 17، على كرسي عجل ويتوسل أبوه اسرائيل والعالم ليهتم البعض بتوفير رجلين صناعيتين لابنه. جرح محمد عندما ضرب سلاح الجو بصاروخ عربة الحمار التي سافر فيها مع امه وابن اخيه لقطف الارض العائلية بقرب البحر. قتلت الام والحفيد على الفور؛ وفقد محمد رجليه. حدث هذا ايضا في اثناء عملية «امطار الصيف»، التي لا يرى احد نهايتها ولا يهتم احد في اسرائيل بها ولا يسأل ما هي غايتها. الجيش الاسرائيلي يقتل ويقتل، تسعة من ابناء عائلة ابو سلمية، واثنين من عائلة ابو عطار. 11 من 212، من بينهم نحو من 50 ولدا وفتى، منذ اختطاف جلعاد شاليط في نهاية حزيران (يونيو) حتى نهاية آب (اغسطس).

ساحة خالية في حي الشيخ رضوان

كان هنا بيت ذو طبقتين اصبح الان ساحقا. بخلاف بيوت مدمرة اخرى، ازالوا الانقاض من هنا. الجزء الخلفي من البيت دمر تدميرا كاملا وانقض الجزء الامامي. صاروخان. نام محمد وعواد في الجزء الامامي، المتجه نحو الشارع، اما سائر ابناء العائلة فناموا في الخلف وقتلوا هنالك. كان أكثرهم نائمين، ربما كان الاب ما يزال يقظا مع المطلوب ضيف. لا يعلم أحد ولا يوجد احد مستعد للحديث. كانت الساعة الثالثة قبيل الفجر. كان الجار ابراهيم سمور، قد مضى في المساء مع الدكتور ابو سلمية للصلاة في المسجد وبعد ذلك تحدثا قليلا لدى باب البيت. كانت الساعة التاسعة مساء عندما افترق بعضهما عن بعض. لم يرَ أحد، بالطبع، «ضيفا». قبيل الصباح استيقظ الجيران مذعورين على التفجير الضخم، وبعقب ذلك من الفور اتى تفجير آخر. يقولون انهم سقطوا عن أسرتهم لقوة الدفع. البيوت ههنا قريب بعضها من بعض.

في مكتب مستأجر في الطبقة الارضية في البيت المجاور، يستعمل محكمة شعبية لتسوية النزاعات في الحي، صورة عبدالعزيز الرنتيسي على الجدار، ومنشأة للمياه المعدنية الاسرائيلية تحت رجليه، يقص الجار عبدالله سمور، وهو طالب في الصف الثاني عشر في الـ 18، ما حدث في بيت الجيران. يرتدي الاولاد الذين يتجمعون في الخارج قمصانا لمخيم صيفي لحماس، واحد الاولاد يرتدي قميصا قصير الكمين عليه صورة ياسين.

مضى عبدالله لينام عند منتصف الليل وانتبه لسماع ضجة طائرة في السماء في الثالثة. انه يسكن الطبقة الثالثة. كان ذلك في ليل الثاني عشر من تموز (يوليو)، قبل ساعات من نشوب الحرب في لبنان. أطار دفع التفجير عبدالله من سريره، وهشمت النوافذ واقتلعت الابواب. ملأ الدخان فضاء البيت بسبب الحريق الذي شب في بيت الجيران، صرخ الآباء على الاولاد ليهربوا من البيت. في الخارج رأى عبدالله البيت المدمر ودخان عائلة جيرانه. لقد عرفهم معرفة حسنة. الدكتور نبيل وزوجته سلوى، وجميع أبناء الجيران الذين نشأ معهم، ناصر، ابن السادسة، وآية، ابنة السابعة، وهدى، ابنة الثامنة، وايمان، ابنة الحادية عشرة، ويحيى، ابن الثالثة عشرة، وبسمة، ابنة الخامسة عشرة.

وكانت أيضا سمية، وهي بنت معوقة في الثانية عشرة، كانت تأتي سيارة خاصة كل يوم لنقلها الى مدرسة المعوقين التي تعلمت فيها. قتلت هي ايضا. كان عبدالله قد التقى عوادا ومحمدا بعد الظهيرة، وهما على التخصيص من نجيا. في الليل خلص عبدالله الجثث مع أبيه. وجدا عوادا وجسمه ملفوف في بساط. ماذا عن محمد ضيف؟ «لا أعرفه البتة»، يقول. ورد في الصحف في اسرائيل ان محمد ضيف خُلص جريحا من الانقاض ونقل سريعا الى الشفاء. على حسب التقارير ضُربت سيارة التخليص ايضا بصاروخ من الجو.

يقول عم عبدالله ايضا ابراهيم سمور، انه لم يرَ قط محمد ضيف ولا يعلم كيف يبدو. انه يسكن الطبقة الثانية. جرح ابنه معتز، وهو في الثالثة، جرحا طفيفا من الشظايا وكذلك زوجته. سارع الى نقلهما الى الشفاء، في حين كان بيت الجيران يحترق. منذ ذلك الحين ينام الاولاد جميعا في غرفة الوالدين، ويبكي معتز عندما يسمع طائرة. «كان انسانا جيدا»، يقول عن الجار الدكتور ابو سلمية. «كان نشيطا في حماس، لكنه لم يكن في ذراعها العسكرية. كان معلما ساعد جيرانه الفقراء». يقول انهما في حديثهما الاخير، في عودتهما من المسجد، لم يتحدثا في السياسة. لم يذكر ابو سلمية ايضا بالطبع اي لقاء يرتقبه في الليل.

يقول ناطق الجيش الاسرائيلي: «في عملية مشتركة بين الجيش الاسرائيلي والشاباك جرى القيام في الثاني عشر من تموز (يوليو) قبيل الصباح بهجوم على بيت في شمال قطاع غزة. استعمل البيت مخبأ لنشطاء كبار في الذراع العسكرية لحماس، بادروا ونفذوا اعمالا ارهابية واطلاق صواريخ قسام. في وقت اصابة البيت عمل الحاضرون في التخطيط لاستمرار العمل العسكري لحماس. كان من الحاضرين ايضا محمد ضيف، الذي اصيب اصابة غير معروفة».

يسمون الشارع الرملي الان باسم شهيده، نبيل ابو سلمية. قبل أن نودع ونمضي الى المشفى للقاء الاخوين، تذكر سمور اسما آخر: نسيم مزراحي. نسيم مزراحي من «روش انديانى» الذي افلس وخلف وراءه كما يقول دينا بلغ 130 الف شيكل لدار خياطته. دار الخياطة مغلقة.

في كرسي العجل يجلس احمد العطار ويحدق الى بيته البائس، وما تزال رجلاه المبتورتان مضمدتين. يضايقه الالم وهو يضغط رجليه المبتورتين ليخفف عن نفسه.

في 24 تموز (يوليو) خرج أحمد مع امه وابن اخيه، كما في كل يوم، الى كرم التين العائلي بقرب البحر، لقطف الفاكهة. كان ذلك بعد الظهيرة، قريبا من الثالثة، وقد تقدموا رويدا رويدا على العربة المربوطة الى حمار. «فجأة اصابنا صاروخ»، يستعيد. «بعد ذلك لم ارَ شيئا. استيقظت في المشفى وقالوا لي آنذاك ان امي ونادي قتلا وأن رجلي بترتا».

بعد ثلاثة ايام في الشفاء، نقل الى مشفى ايخلوف في تل أبيب، ولكن هنالك ايضا لم ينجحوا في انقاذ رجليه وبترتا كاملتين.

احرقت اجزاء اخرى في جسمه وما تزال خروج الحريق مضمدة. انه طالب في الصف الـ 12 تزوج قبل شهرين من كارثته الفتاة زينة، ابنة الـ 16. كانت امه خيرية في الـ 58 عند موتها وكان نادي حفيدها في الـ 12. سمع أحمد ان نادي طار عشرات الامتار من العربة، وان جسم خيرية مزق اربا اربا، نتاج الاصابة المباشرة الدقيقة للعربة.

يقول ناطق الجيش الاسرائيلي: «في صبيحة الـ 24 من تموز (يوليو) جرى تعرف اطلاقي صاروخ قسام من قرب المعهد الزراعي في بيت حانون. اطلق الصاروخان على سديروت، سقط أحدهما بقرب مدرس في المدينة. بعد ذلك في اليوم نفسه تعرفت قوات الجيش الاسرائيلي مخربين آتيا المكان وحملا منصات الاطلاق على عربة مربوطة الى حمار. نفذ الجيش الاسرائيلي اطلاقا دقيقا على النقطة التي مكث فيها المخربان والعربة مع منصات الاطلاق وشاهد اصابة. في زمن الاطلاق لم ترَ امرأة بالغة وحفيدها في العربة. في حالة انهما ركبا العربة نفسها، فان المنظمات الارهابية هي التي لم تحافظ على حياتهما وعملت في أعمال ارهابية موجهة الى مواطني اسرائيل وهي تغطي نفسها بغير مشاركين، مع استغلالهم واستعمالهم دروعا بشرية».

خلفت خيرية تسعة اولاد ونحو من 50 حفيدا. كانت بائعة في سوق جباليا، باعت المنتجات الزراعية، التين والعنب والتوت الارضي، والجبن الذي كانت تصنعه بيديها. علقت في الجدار صورة ابن العم، محمد، ابنة الـ 23، الذي قتل عند نافذة بيته برصاصة جندي، قبل ثلاثة اسابيع بالضبط من قتل الجدة والحفيد. في صورة التخليد المعلقة في الشارع يرى وجه الغلام نادي ومن ورائه زعيم الجبهة الشعبية، ابو علي مصطفى. لماذا الجبهة الشعبية؟ «لانهم قدموا للعائلة الطعام في ايام الحداد الاربعة». يبين الاب. ههنا لا يعرضون صور النساء حتى بعد موتهن. لا يرونا ايضا صورة حفل زواج احمد، كي لا نرى زوجته الشابة.

عائلة الشهيد رياض سرسك اثناء تشييع جثمانه، وكان الشهيد قد قتل يوم الاربعاء برصاص الجيش الاسرائيلي

الاب، واسمه نادي أيضا، سمع عن الكارثة بالمذياع، حينما كان في المدينة. في هذا الصباح عاد لاول مرة لصيد السمك في شبكته، ولكن منذ الخامسة صباحا الى الان لم يصد سمكة واحدة. يأتي بعضهم بصورة من ميدان الكارثة: حمار مطروح ميتا على الرمال، في مقدمة التقرير الاسبوعي للمركز الفلسطيني لحقوق الانسان في غزة، وهو التقرير رقم 29 لسنة 2006. وفي خلفية الصورة تظهر سيارة اسعاف يبدو أن احمد الجريح استلقى فيها، أو أن امه وابن اخيه القتيلين كانا فيها. جيفة الحمار مطروحة في الرمل، عند أسفل العربة. اصابة دقيقة.

جدعون ليفي
مختص بحقوق الانسان
(ملحق هآرتس) - 2006/9/1

يحيط به 500 مساعد بلا عمل .. ولا يوجد اليوم من يرثه

محمود عباس رجل «طيب» لكن عجزه عن تنفيذ القرارات يهدد بانحلال السلطة الوطنية

■ في يوم الاربعاء من هذا الاسبوع اخترق بضعة آلاف من موظفي السلطة الفلسطينية ساحة المقاطعة في رام الله، حيث يكون رئيس السلطة، محمود عباس. صاح المتظاهرون، الذين لم يحصل جزء منهم على أجورهم منذ نصف سنة «نريد أن نأكل، نريد أن نعيش». وعلى غير عادته، خرج رئيس السلطة الى الآلاف وحاول أن يخطب، كما فعل سلفه في الماضي، ياسر عرفات. «لن نخضع لسياسة التجويع واتفقنا على حكومة وحدة لازالة الحصار عن شعبنا»، قال لهم. لم يُحجم عن توجيه النقد الى حماس: «اطلاق الصواريخ أفضى الى أكثر من 250 قتيلا وجريحا بين الفلسطينيين. من يتحمل المسؤولية؟ نحن نحترم قرار الديمقراطية، لكننا نحتاج الى الطعام ايضا».

ولكن بخلاف خطب عرفات، لم يُحجم المتظاهرون عن التشويش على كلام الرئيس. وكما كان الأمر دائما، قال رئيس السلطة الكلام الصحيح، لكن أكثر الحاضرين أدركوا أن كلامه لا معنى له. المتظاهرون، مثل كثير من سكان المناطق، يرون أبا مازن أكبر خيبة أمل للسياسة الفلسطينية. بعد نحو من سنة وسبعة اشهر من انتخابه ليتولى منصبه، أصبحت مكانته أضعف مما كانت دائما. بمفاهيم كثيرة، حقق الزعيم الفلسطيني النبوءة الاسرائيلية، التي رأته غير ذي صلة. «سميتموه فرخا بلا جناحين»، قال في هذا الاسبوع أحد كبار التنظيم في الضفة الغربية، «لكن تبين لنا في السنة الأخيرة انه لا يريد التحليق ببساطة».

في السنوات الاخيرة، حظي زائرو مكاتب كبار السلطة بتعرف المرسوم الاتي: يمد المسؤول الكبير يده الى صندوق ابيض موضوع على طاولته وفي وسطه زر أحمر، ويضغط. ليس الحديث عن استعمال سلاح سري فلسطيني، بل عن رمز مكانة. الضغط للزر يبعث مساعدا ملاصقا لذلك المسؤول الرفيع، يفعل كل ما يطلب اليه: القهوة، او محادثة هاتفية، او سيجارة.

يقول مستشار سابق لرئيس السلطة استقال ان «مشكلة أبي مازن ورؤوس فتح هي عقلية الجرس. لا توجد خطة منظمة، ولا توجد استراتيجية. كل شيء بحسب الاستلال، وبحسب رن الجرس. المساعد الذي يعد القهوة او يشعل سيجارة ابي مازن، يصل بينه وبين وزيرة الخارجية الامريكية ايضا. يعمل في مكتب ابي مازن اليوم اكثر من 500 انسان، ليس في ضمنهم عمال الامن. لا يعمل أحد منهم على حسب خطة منظمة او رؤيا. يجلسون جميعا عاطلين من العمل أكثر اليوم ينتظرون ما يتحدث به الرئيس».

بحسب اقوال المستشار السابق، الفوضى في بلاط الرئيس مدوية. «لقد ورث الفوضى عن عرفات. اضاف ابو مازن الى جميع الناس الذين عملوا مع عرفات، اناس مكتبه من وظائفه السابقة. واضيف الى كل هؤلاء ايضا تعيينات جديدة».

تحدث ذلك المستشار ليمثل على الفوضى ان «الرئيس نافس في الانتخابات للرئاسة في كانون الثاني (يناير) 2005، وعرض خطة من 14 نقطة عمل. في أحد الايام طلب الينا أن نعرض الخطة على الامريكان، لكن لم يعلم أحد اين كانت موضوعة. في نهاية الامر أخرجنا الخطة من الانترنت».

ان اساس غضب المسؤولين الكبار في التنظيم في فتح موجه الى جماعة المستشارين التي عينها ابو مازن حوله، في حين دفعوا هم جانبا. بحسب أقوال مقرب من مروان البرغوثي، المسؤول الكبير من فتح السجين في اسرائيل، «هذه خطوة غامضة، تبلغ حد الفضيحة. كل انسان يُعلم فساده في فتح عُين لوظيفة رسمية في مكتب الرئيس، لقد هجر تماما الجيل الشاب، الذي يحظى بالشعبية والذي جلس اليه الانتصار في الانتخابات. جميع رؤساء التنظيم الذين قادوا الشارع ـ احمد غنيم وقدورة فارس وحاتم عبدالقادر وآخرون ـ نُسوا. يشغل القادمون من تونس الان الوظائف الرئيسية في مكتبه. جميع الحكام الذين عينوا أخيرا هم من جماعة تونس ايضا. لا يلي أحد من اناس «الداخل» من فتح وظيفة. لماذا اناس الخارج فقط؟ إسأله. قد يكون ذلك بسبب العقلية المشتركة، والطرائف المعروفة ومطالبهم البسيطة من ابي مازن. لن يطلبوا اصلاحا في فتح، بل مالا فقط».

كانت شعبية عرفات بين الفلسطينيين لغزا غامضا دائما عند الغرب وعند اسرائيل. عندما يجري الحديث عن رئيس السلطة الحالي، اللغز الغامض هو عجزه عن تنفيذ قراراته. «كان شارون متأثرا جدا من أبي مازن بعد لقائهما الاول»، يقول أحد مستشاري رئيس الحكومة الاسرائيلي السابق ، «اقترح شارون على ابي مازن الذي كان آنذاك رئيس حكومة السلطة، كتفضل ان ينسحب من جميع مدن الضفة ويعيد الانتشار حولها. رفض ابو مازن وقال لشارون ان هذا مبكر جدا. قال شارون انه لم يلقَ ردا محسوبا ومسؤولا الى هذا الحد من قبل زعيم عربي».

« اضفى ابو مازن شعورا لطيفا جدا، ودفئا وأدبا، هو انسان مستقيم مع بصيرة حسنة. كانت المشكلة ان التقارير التي تلقاها لم تكن دقيقة، اذا لم نشأ المبالغة. في حزيران (يونيو) 2005 طلب اليه أرييل أن توقف السلطة صلاح مدهون الذي ارسل شابة فلسطينية لتنفيذ عملية تفجيرية في مشفى في اسرائيل. بعد شهر اعلن رئيس فريق التفاوض في م.ت.ف، صائب عريقات ان مدهون معتقل. لكن تبين أن مدهون تابع تجواله طليقا سعيدا، رغم ان ابا مازن تلقى تقريرا يقول انه اعتقل. استشاط ابو مازن غضبا وصرخ، لكن لم يطعه أحد وظل الوضع كما هو اليوم ايضا».

في الدول العربية ايضا، وبخاصة في مصر والاردن، خيبة امل من ابي مازن لانه لا يقدم صورة عن زعيم. يسمي دبلوماسيون امريكان رئيس السلطة «رئيس الوعود». بحسب اقوال المستشار السابق لابي مازن، «هو لن يقول لا للامريكان البتة. لقد حظي بهذا اللقب لانه يعد وعودا دائما لكنه لا يحققها».

يزعم المستشار السابق ان ابا مازن «يتخلى عن المسؤولية لفتح، بزعم انه لا يترأس الحركة. هذا صحيح نظريا، لكن جمهور مؤيدي فتح يتوقع منه أن ينقذ المنظمة. لقد ابتعد من البعوث عندما وعده باجراء انتخابات لمؤسسات فتح في صيف 2005 (وهي انتخابات لم تجرَ منذ 1989، كاتب المقال)، ولكن منذ ذلك الحين لم يحدث شيء. أُبعد محمد دحلان وجبريل الرجوب، اللذان كانا يستطيعان مساعدته، من المقاطعة وعلاقاتهما برئيس السلطة متوترة. في كل مرة اقترح احدهما تنفيذ اصلاحات في أجهزة الامن، لم يرفض ابو مازن ذلك رفضا باتا، لكنه في واقع الامر لم يعطهما الضوء الاخضر. حتى لقد نازعه الامين العام للسلطة ومقربه، الطيب عبدالرحيم وهو يمكث الان في مصر منذ شهر ونصف شهر.

وقال المستشار السابق ايضا ان «نظام البيان عن ابي مازن ضعيف. لديه المستشار الاعلامي الوحيد في العام الذي لا يملك هاتفا محمولا (نبيل ابو ردينة). وعد باجراء انتخابات تمهيدية في فتح، لكن لم يحدث هذا ولم ينجح في ان يستقر رأيه على قائمة المرشحين. لهذا استقر رأينا على اجراء استطلاع داخلي يساعدنا في تحديد القائمة. حصل البرغوثي في الاستطلاع على 46 في المئة من الاصوات. وحظي احمد قريع (ابو علاء) بـ 5 في المئة من التأييد. بالطبع اراد ابو مازن تنصيب ابي علاء في رأس القائمة. بعد أن هدد البرغوثي بالترك فقط غير ابو مازن قراره. رفع الرئيس يديه عما يتصل بفتح. انه لا يحدد اهدافا ويدع المشكلات تعظم فقط».

سُمع المستشار السابق متشائما على نحو خاص فيما يتصل بمستقبل السلطة وفيما يتصل بهوية وريث ابي مازن. «كان الرجل في المحل الثاني دائما وبعد موت عرفات اصبح زعيما فجأة. لم يكن لفتح مناص سوى تأييده. لا يوجد الان من يرثه. طالما ظل البرغوثي في السجن لا بديل من ابي مازن. يجب ان نفهم ان السلطة تنحل. السؤال هو من الذي يحل دوره بعد ابي مازن ليس ذا صلة، بل سؤال، من الذي يأتي دوره؟. الرئيس معني بحكومة وحدة، رغم انها لا يتوقع أن تحل مشكلات الجمهور الفلسطيني اذا لم تقبل شروط الولايات المتحدة. ان حكومة طوارىء خاصة من غير حماس قد تكون حلا. لكن ابا مازن مرة اخرى يخاف مواجهة حماس وسيفضل عدم القرار».

ومع ذلك، يوجد من يدافع عن ابي مازن. على حسب اقوال مسؤول رفيع مصري، «جميع الكلام عن انه ليس زعيما حقيقيا غير صحيح ببساطة. لقد كان المسؤول الفلسطيني الكبير الوحيد الذي عارض الانتفاضة المسلحة. ان شجاعة كهذه تبرهن ما هي الزعامة التي لا نظير لها».

آفي يسيسخروف
(هآرتس) - 2006/9/1